تفسير إبن كثير

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عثمان بن حكيم ، حدثنا عبد الرحمن بن شيبة ، سمعت أم سلمة زوج النبي صلى االله عليه وسلم تقول : قلت للنبي صلى االله عليه وسلم : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر ، قالت ، وأنا أسرح شعري ، فلففت شعري ، ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي ، فجعلت سمعي عند الجريد ، فإذا هو يقول عند المنبر : " يا أيها الناس ، إن االله يقول : (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات " إلى آخر الآيةوهكذا رواه النسائي وابن جرير ، من حديث عبد الواحد بن زياد ، به

مثلهطريق أخرى عنها : قال النسائي أيضا : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا سويد ، أخبرنا

عبد االله بن شريك ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة أنها قالت للنبي صلى االله عليه وسلم : يا نبي االله ، ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن ، والنساء لا يذكرن ؟ فأنزل االله (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات)وقد رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة : أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، حدثه عن أم سلمة ، رضي االله عنها ، قالت : قلت : يا رسول االله ، أيذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر ؟ فأنزل االله : (إن المسلمين والمسلمات) الآيةطريق أخرى : قال سفيان الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول االله ، يذكر الرجال ولا نذكر ؟ فأنزل االله : (إن المسلمين والمسلمات) الآيةحديث آخر : قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا سيار بن مظاهر العنزي حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال النساء للنبي صلى االله عليه وسلم : ما له يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات ؟ فأنزل االله : (إن المسلمين والمسلمات) الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ; عن قتادة قال : دخل نساء على نساء النبي صلى االله عليه وسلم ، فقلن : قد

ذكركن االله في القرآن ، ولم نذكر بشيء ، أما فينا ما يذكر ؟ فأنزل االله عز وجل : (إن المسلمين والمسلمات) الآيةفقوله : (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) دليل على أن الإيمان غير الإسلام ، وهو أخص منه ، لقوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) [الحجرات : 14] وفي الصحيحين : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " فيسلبه الإيمان ، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين ، فدل على أنه أخص منه كما قررناه في أول شرح البخاري[وقوله] : (والقانتين والقانتات) القنوت : هو الطاعة في سكون ، (أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) [الزمر : 9] ، وقال تعالى : (وله من في السماوات والأرض كل له قانتون) [الروم : 26] ، (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) [آل عمران : 43] ، (وقوموا الله قانتين) [البقرة : 238] فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها ، ثم القنوت ناشئ عنهما(والصادقين والصادقات) : هذا في الأقوال ، فإن الصدق خصلة محمودة; ولهذا كان بعض الصحابة لم تجرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، وهو علامة على الإيمان ،

كما أن الكذب أمارة على النفاق ، ومن صدق نجا ، " عليكم بالصدق; فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة وإياكم والكذب; فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند االله صديقا ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند االله كذابا "

والأحاديث فيه كثيرة جدا(والصابرين والصابرات) : هذه سجية الأثبات ، وهي الصبر على المصائب ، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة ، وتلقي ذلك بالصبر والثبات ، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أي : أصعبه في أول وهلة ، ثم ما بعده أسهل منه ، وهو صدق السجية وثباتها(والخاشعين والخاشعات) الخشوع : السكون والطمأنينة ، والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من االله ومراقبته ، [كما في الحديث] : " اعبد االله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك "(والمتصدقين والمتصدقات) : الصدقة : هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء ، الذين لا كسب لهم ولا كاسب ، يعطون من فضول الأموال طاعة الله ، وإحسانا إلى خلقه ، وقد ثبت في الصحيحين : " سبعة يظلهم االله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " فذكر منهم : " ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا

تعلم شماله ما تنفق يمينه " وفي الحديث الآخر : " والصدقة تطفئ الخطيئة ، كما يطفئ الماء النار "[وفي الترمذي عن أنس بن مالك ، رضي االله عنه ، عن النبي صلى االله عليه وسلم ، قال : " إن الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء "وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة "وفي حديث أبي ذر أنه قال : سألت رسول االله صلى االله عليه وسلم ماذا ينجي العبد من النار ؟ قال : " الإيمان باالله " قلت : يا نبي االله ، مع الإيمان عمل ؟ قال : " ترضخ مما خولك االله " ، أو " ترضخ مما رزقك االله " ; ولهذا لما خطب النبي صلى االله عليه وسلم يوم العيد قال في خطبته : " يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار " وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار ، وقال عمر بن الخطاب ، رضي االله عنه : ذكر لي أن الأعمال تتباهى ، فتقول الصدقة : أنا أفضلكموفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : ضرب رسول االله صلى االله عليه وسلم ، مثل البخيل والمتصدق ،

كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد ، أو جنتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما ، فجعل المتصدق ، كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه ، حتى تغشى أنامله ، وتعفو أثره ، وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت ، وأخذت كل حلقة مكانها قال أبو هريرة : فأنا رأيت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول بإصبعه هكذا في جيبه فلو رأيته يوسعها ولا يتسع وقد قال تعالى : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) [التغابن : 16] فجود الرجل يحببه إلى أضداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده كما قيل :ويظهر عيب المرء في الناس بخله وتستره عنهم جميعا سخاؤه تغط بأثواب السخاء فإنيأرى كل عيب والسخاء غطاؤه]والأحاديث في الحث عليها كثيرة جدا ، له موضع بذاته(والصائمين والصائمات) : في الحديث الذي رواه ابن ماجه : " والصوم زكاة البدن " أي : تزكيه وتطهره وتنقيه من الأخلاط الرديئة طبعا وشرعاقال سعيد بن جبير : من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر ، دخل في قوله : (والصائمين والصائمات)ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة - كما قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباء فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ،

ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " - ناسب أن يذكر بعده : (والحافظين فروجهم والحافظات) أي : عن المحارم والمآثم إلا عن المباح ، كما قال تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) [المؤمنون : 5 - 7]وقوله : (والذاكرين االله كثيرا والذاكرات) قال ابن أبي حاتم :حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد االله ، حدثنا محمد بن جابر ، عن علي بن الأقمر ، عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي االله عنه ، أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ، فصليا ركعتين ، كتبا تلك الليلة من الذاكرين االله كثيرا والذاكرات "وقد رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، من حديث الأعمش ، [عن علي بن الأقمر] ، عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي سعيد وأبي هريرة ، عن النبي صلى االله عليه وسلم ، بمثلهوقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي االله عنه ، أنه قال : قلت : يا رسول االله ، أي العباد أفضل درجة عند االله يوم القيامة ؟ قال : " الذاكرون االله كثيرا والذاكرات "قال : قلت : يا رسول االله ، ومن الغازي في سبيل

االله ؟ قال : " لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون االله أفضل منه "وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي االله عنه ، قال : كان النبي صلى االله عليه وسلم يسير في طريق مكة ، فأتى على جمدان فقال : " هذا جمدان ، سيروا فقد سبق المفردون " قالوا : وما المفردون ؟ قال : " الذاكرون االله كثيرا " ثم قال : " اللهم اغفر للمحلقين " قالوا : والمقصرين ؟ قال : " اللهم ، اغفر للمحلقين " قالوا : والمقصرين ؟ قال : " والمقصرين "تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم دون آخرهوقال الإمام أحمد : حدثنا حجين بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن زياد بن أبي زياد - مولى عبد االله بن عياش بن أبي ربيعة - أنه بلغه عن معاذ بن جبل ، رضي االله عنه ، أنه قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب االله من ذكر االله " وقال معاذ : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم " ؟ قالوا : بلى يا

رسول االله قال : " ذكر االله عز وجل "وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول االله صلى االله عليه وسلم : أن رجلا سأله فقال : أي المجاهدين أعظم أجرا يا رسول االله ؟ فقال : " أكثرهم الله ذكرا " قال : فأي الصائمين أكثر أجرا ؟ قال : " أكثرهم الله ذكرا " ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، كل ذلك يقول رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أكثرهم الله ذكرا " فقال أبو بكر لعمر ، رضي االله عنهما : ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أجل "وسنذكر بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا االله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الآية [الأحزاب : 41 ، 42] ، إن شاء االله تعالوقوله : (أعد االله لهم مغفرة وأجرا عظيما) أي : هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرا عظيما وهو الجنة